

تاريخ الأدب المقارن في إيران (البحوث المقارنة نموذجاً)

هادي نظري منظم*

الملخص

الأدب المقارن لون من ألوان البحث الأدبي ظهر في فرنسا، وفيها نشأ وترعرع، ثم تم تصديره منها إلى الجامعات الأوروبية والأمريكية، كما دخل إلى جامعات العالم الثالث منذ منتصف القرن العشرين فصاعداً.

ومن الحقائق المتصلة بالمقارنة الأدبية أنّ هذا اللون من البحث الأدبي قديم، ويمكن البحث عن أصوله حتى في التاريخ القديم. وما نقوله عن الأدب المقارن ينسحب على سائر العلوم المعارف الإنسانية؛ غير أنّ ما نحن بصددّه هنا هو تتبع نشأة الأدب المقارن - بوصفه علماً حديثاً - في الجامعات الإيرانية؛ بعد أن نشأ في أوربا، ثم أصبح عالمياً بالتدريج.

وقد دخل الأدب المقارن إلى مناهج الدراسة في جامعة طهران على يد الدكتورة فاطمة سيّاح، وبلغ أوجه في دراسات بعض الباحثين المبرزين من أمثال محمد محمدي وجواد حديدي وأرتاش آذرنوش؛ ولكنّ هذا المقرر الجامعي ظل يعاني إلى اليوم من انعدام الأستاذ المتخصص، وقلة الاهتمام بالنظرية، و....

وهذا البحث محاولة صادقة لتقديم صورة شبة كاملة عن نشأة الأدب المقارن في إيران، وعن التحديات التي تحول دون نموّه وازدهاره.

كلمات مفتاحية: المقارنة الأدبية، الأدب الفارسي المقارن.

مقدمة

المقارنة، كعلم، له أصوله و مبادئه، وليدة أواخر القرن التاسع عشر، إلا أنّها، كظاهرة، قديمة قدم الأدب نفسه. وقد ظهر الأدب المقارن في معناه العلمي في فرنسا، ونشأ فيها ثم تم تصديره منها إلى أرجاء العالم غرباً وشرقاً.

* عضو هيئة التدريس في قسم اللغة العربية و آدابها بجامعة بوعلی سینا

ويمكن القول إن الإيرانيين من أوائل الذين اهتموا بالأدب المقارن في قارة آسيا؛ فقد دخل هذا الحقل المعرفي الجديد إلى جامعة طهران سنة ١٩٣٨م، واعتُرف به أكاديمياً، ولكن سرعان ما أُلغي تدريسه من الجامعة نفسها نظراً لانعدام التخطيط العلمي الصحيح وفقدان الأستاذ المتخصص و... .

ومن المؤسف أن الأدب المقارن في معناه العلمي لم يكن محظوظاً قط في إيران، كما أن تاريخ الأدب المقارن في هذا البلد لم يُكتب بعد، وإن توجد عنه إشارات شديدة الإيجاز وناقصة هنا وهناك؛ من ذلك مثلاً ما كتبه الدكتور طهمورث ساجدي في مقالة بعنوان: ادبيات تطبيقي - ادبيات شرقي^(١)، وفيه يتناول الأدب الفارسي المقارن من خلال أربع أو خمس شخصيات فحسب، وثمة أيضاً مقابلة أجرتها إحدى المجلات الإيرانية مع الدكتور جواد حديدي^(٢)، وهي تدور في معظمها حول حياة هذا المقارن الشهير وتأليفاته، وهناك مقالة أخرى بعنوان: «ادبيات تطبيقي در ايران: پيدايش و چالش ها»، كتبه كاتب هذه السطور بالتعاون مع الدكتور مجيد صالح بك^(٣)، وهي أول مقالة - فيما يبدو - تتناول تاريخ الأدب المقارن في إيران منذ نشأته. وهذه المقالة محاولة متواضعة لتقديم صورة شبة كاملة عن الأدب المقارن في إيران منذ نشأته إلى يومنا هذا.

رواد الأدب الفارسي المقارن و قضاياها

المعروف أن نشأة الأدب المقارن في إيران ترجع إلى عام ١٣١٧ هـ - ش/ ١٩٣٨م، حين أنشئ كرسي خاص بالأدب المقارن في جامعة طهران، وشغلته الدكتورة فاطمة سياح^(٤).

١ - راجع: ساجدي، از ادبيات تطبيقي تا نقد ادبي، صص ٤٢-٥٠.

٢ - راجع: كتاب ماه ادبيات و فلسفه، «تلاشي بي نظير در عرصه ادبيات تطبيقي»، ع ٤٦، ١٣٨٠هـ - ش، صص ٤-١٧.

٣ - راجع: فصلية زبان و ادبيات پارسي، «ادبيات تطبيقي در ايران: پيدايش و چالش ها»، ع ٣٨، ١٣٨٧هـ - ش، صص ٩-٢٨.

٤ - سياح، ع ٤٧.

ولدت فاطمة رضا زاده محلاتي، المعروفة بفاطمة سياح في موسكو عام ١٩٠٢م؛ عمل أبوها جعفر أستاذاً في كلية اللغات الشرقية في موسكو نحو ٤٥ عاماً. أنهت فاطمة دراستها المتوسطة والعالية في هذه المدينة، وحصلت على درجة الدكتوراه في الآداب الأوربية من كلية الآداب بموسكو... ثم عملت مدرّسة في الجامعات الروسية لمدة أربعة أعوام، وبعدها قدمت إيران عام ١٣١٣ هـ — ش/ ١٩٣٤م^(٥).

وقد كان بإمكان الدكتورة سياح أن تزود المكتبة الإيرانية بعدد من الدراسات المقارنة والنقدية؛ غير أن موتها المبكر عام ١٣٢٦ هـ — ش/ ١٩٤٧م ألحق خسارة فادحة بالأدب المقارن في إيران؛ فقد ألغي تدريس مادة «سنجش ادبيات» (= مقارنة الآداب) و«الأدب الروسي» من مناهج الدراسة في جامعة طهران، واختفى الكرسي نظراً لانعدام الأستاذ المتخصص في هذا المقرر^(٦).

ويُستفاد من هذه الإشارة الموجزة أن نشأة الأدب المقارن في إيران لم تكن نتيجة لحركة فكرية، وتخطيط علمي، أو استجابة لحاجة شديدة داخل اللغة القومية — كما كان شأنه في جامعات فرنسا وبعض الأقطار الغربية— بل كان الأمر على عكس ذلك؛ فقد دخل الأدب المقارن في جامعاتنا (جامعة طهران) منقولاً من الجامعات الغربية، وذلك على يد أستاذة غير متمكنة من الأدب واللغة الفارسيين، ركزت في الأغلب الأعم على دراسة مواطن الشبه أو الخلاف بين الآداب الغربية والأدب الفارسي، ولم تعط مثل هذه العناية لدراسة تأثير الأدب الفارسي في سائر الآداب أو تأثيره بها.

وشهد عام ١٣٢٣ هـ — ش/ ١٩٤٤م ظهور كتاب منهجي في الأدب التطبيقي المقارن، عنوانه: فرهنگ إيراني وتأثير آن در تمدن اسلام و عرب (= الثقافة الإيرانية وأثرها في الحضارة العربية والإسلامية). والكتاب يلقي ضوءاً على بعض الروافد الفارسية البهلوية التي صبغت في نهر الأدب والحضارة العربية والإسلامية؛ ألفه الدكتور محمد محمدي رئيس قسم اللغة الفارسية وآدابها في الجامعة اللبنانية في

٥- م. ن. ٣٨-٣٩.

٦- م. س. ٤٣-٤٤.

الستينيات الميلادية ومدير مجلة الدراسات الأدبية، التي كانت تصدرها الجامعة نفسها في الفترة من ١٩٥٩ إلى ١٩٦٧م، وتهتم بالعلاقات الإيرانية للأدب العربي. وللدكتور محمدي كتاب تطبيقي آخر بعنوان: الترجمة والنقل عن الفارسية في القرون الإسلامية الأولى^(٧)، وفيه يعرض المؤلف لنوعين من الروافد الفارسية في الأدب العربي، الأول: النظم والمراسيم والأوامر الملكية وما إليها من الآداب السلطانية، التي يجمعها تاجنامهها (= كتب التاج)، والثاني: روافد الأصول والرسوم والعادات والمصطلحات المتفق عليها في السياسة والإدارة والمجتمع، والتي يجمعها عنوان آيين نامهها (= كتب الآيين).

والحق أن الدكتور محمدي من الدارسين والمقارنين الإيرانيين الأوائل، الذين عنوا بدراسة علاقة الأدب الفارسي (الفارسي البهلوي بوجه خاص) بالأدب العربي. وقد ألفت في هذا الاتجاه دراسات مختلفة، أشرنا إلى بعضها، كما له دراسات أخرى مبعثرة في الدوريات المختلفة من عربية وفارسية، أهمها مجلة الدراسات الأدبية الأنفة الذكر.

وبعد بضعة أعوام وبالضبط في عام ١٣٣٢ هـ / ش / ١٩٥٣م أصدر جمشيد بهنام أول دراسة نظرية عن الأدب المقارن. وكانت الدراسة كتيباً صغيراً^(٨)، ويمكن اعتباره تلخيصاً لكتاب الأدب المقارن من تأليف الفرنسي الشهير غويار (Guyard). وفي العام نفسه كتب سيد فخرالدين شادمان مقالاً قصيراً عن الأدب المقارن بعنوان: «تاريخ روابط وتأثيرات ادبي»^(٩). وفي هذا المقال يقدم الباحث مصطلح «تاريخ روابط وتأثيرات ادبي» بديلاً لمصطلح «تاريخ العلاقات الأدبية الدولية»، الذي اقترحه المقارن الفرنسي غويار في كتابه السابق.

وفي العام ذاته ألفت شجاع الدين شفا كتاباً في الأدب التطبيقي المقارن بعنوان: إيران در ادبيات جهان^(١٠) (= إيران في آداب العالم). والكتاب يدرس صدى الأدب والثقافة الإيرانيين في الأدب الفرنسي.

٧- نشر الجزء الأول منه عام ١٩٦٤م في جامعة بيروت.

٨- طهران، دار بي تا للنشر.

٩- راجع: يغما، س٦، ع٤، ١٣٣٢ هـ ش، صص ١٢٩-١٣٥.

١٠- طهران، ابن سينا، ١٣٣٢ هـ ش.

وشهد عام ١٣٣٦هـ ش/١٩٥٧م ظهور كتاب تطبيقي بعنوان: منتبّي وسعدي ومأخذ مضامين سعدي در ادبيات عربي (=المنتبّي وسعدي ومصادر سعدي العربية). ألفه الدكتور حسين علي محفوظ^(١١) ولنا على هذه الدراسة التطبيقية الرائدة – التي نشرت عن الشاعرين – تحفظات كثيرة^(١٢)؛ فقد أرجع كل مواطن الشبه بين سعدي والمنتبّي إلى تأثر الأول بالثاني، دون أن يقرر أن معظم تلك الأقوال والمضامين مطروقة أو أنها من المعاني المشتركة التي أنت وليدة صدفة أو نتيجة لملاسات متشابهة.

وممن يمثل الاتجاه الفرنسي التاريخي أدق تمثيل الدكتور جواد حديدي (م ١٣٨١ هـ ش/٢٠٠٢ م). نال حديدي دكتوراه الدولة في الأدب الفرنسي من جامعة السوربون سنة ١٣٣٩هـ ش/١٩٦٠م، وكان عنوان أطروحته: اسلام از نظر ولتر^(١٣) (=الإسلام عند فولتير). وفي العام نفسه يلتحق الدكتور حديدي بقسم اللغة الفرنسية وآدابها بجامعة فردوسي بمشهد، ويبدأ نشاطه على صعيد التأليف والتدريس، مقدماً للمكتبة الفارسية عدداً غير قليل من الكتب والمقالات القيمة في مجال المقارنة بين الأدبين الفارسي والفرنسي.

وفيما يلي قائمة بأبرز الكتب والمقالات التطبيقية التي ألفها الدكتور حديدي منذ الأربعينيات الهجرية الشمسية فصاعداً :

اسلام از نظر ولتر^(١٤) (=الإسلام عند فولتير): وهو عنوان أطروحته – كما أسلفنا –؛ ايران در ادبيات فرانسه^(١٥) (=إيران في الأدب الفرنسي): والكتاب يتناول أثر الأدب الفارسي في الأدب الفرنسي على ضوء المنهج التاريخي؛ برخورد انديشهها^(١٦) (=تلاقح الأفكار): وضمّنه ثماني مقالات كان قد نشرها من قبل في

١١- طهران، دار روزنة للطباعة.

١٢- راجع أطروحتنا المعنونة: الدراسات المقارنة بين العربية و الفارسية على ضوء المدرسة الفرنسية، صص ١٣١-١٧٦.

١٣- راجع: زندگي نامه و خدمات علمي و فرهنگي جواد حديدي، ٢٩-٣٠.

١٤- مشهد، ١٣٤٣ هـ ش. و قد صدر أيضا في فرنسا سنة ١٩٧٤م، ثم نال الجائزة الأدبية الخاصة برابطة الكتاب الفرنسيين عام ١٩٧٦م.

١٥- مشهد، ١٣٤٦ هـ ش.

١٦- طهران، توس، ١٣٥٦هـ ش.

مجلة كلية الآداب بجامعة فردوسي. تتناول المقالة الأولى المعارك الكلامية الشديدة التي حدثت بين الأدبيين الفرنسيين فولتير وروسو، فهي ليست من الأدب المقارن في شيء نظراً لاشتراك اللغة بينهما؛ أما المقالات الأخرى فهي تركز على دراسة تأثير عمالقة الأدب الفارسي من أمثال فردوسي والخيام وسعدي وحافظ في الأدب الفرنسي. وقد خصصت المقالة السادسة للحديث عن نشأة الأدب المقارن في أوروبا، وتحدثت فيها عن ميادين البحث في الأدب المقارن وفق مفهومه الفرنسي التقليدي؛ از سعدي تا آراگون^(١٧) (= من سعدي إلى أراغون): وفي هذا الكتاب القيم يدرس المؤلف أثر الأدب الفارسي في الأدب الفرنسي منذ مطلع القرن السابع عشر إلى عام ١٩٨٢م، وهو العام الذي توفي فيه الشاعر الفرنسي الشهير أراغون. والحقيقة أن الكتاب من أفضل ما ألف في الأدب الفارسي المقارن إلى يومنا هذا، كما أنه من الدراسات التطبيقية الرائعة في الأدب العالمي المقارن.

وللدكتور حديدي مقالات عديدة أيضاً في مجال المقارنة بين الأدبين الفارسي والفرنسي، نشر معظمها في مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة فردوسي، منها ما يلي:

« شاعران ایرانی در نمایشنامه های فرانسوی »^(١٨) (= الشعراء الإيرانيون في المسرحيات الفرنسية)؛ « ادبیات تطبیقی، پیدایش و گسترش آن »^(١٩) (= الأدب المقارن، نشأته وامتداده)؛ سلسلة مقالات نشرها في المجلة نفسها بعنوان: «خيام در ادبیات فرانسه»^(٢٠) (= الخيام في الأدب الفرنسي)؛ « شهبای ایرانی »^(٢١) (= الليالي الإيرانية)؛ « حافظ در ادبیات فرانسه »^(٢٢) (= حافظ في الأدب الفرنسي)، و....

وكان المرحوم حديدي أحد المؤسسين لمجلة لقمان الفرنسية، التي صدرت في إيران منذ عام ١٣٦٢هـ ش/ ١٩٨٣ م. وكانت المجلة تعنى بتعريف الأدب الفارسي

١٧- طهران، مركز نشر دانشگاهي، ١٣٧٣ هـ ش. وقد نال الكتاب جائزة كتاب العام الإيراني عام ١٣٧٤ هـ ش.

١٨- س٨، ع١٣٥١، هـ ش، صص ١١٣-١٢٨.

١٩- س٨، ع٣، ١٣٥١ هـ ش، صص ٦٨٥-٧٠٩.

٢٠- س٩، ع٢، ١٣٥٢ هـ ش، صص ٢٢٣-٢٦٠؛ ع٣، صص ٤١١-٤٣٢؛ ع٤، صص ٥٤٧-٥٧٠.

٢١- س١١، ع٣، ١٣٥٤ هـ ش، صص ٣٥٢-٣٨٢؛ س١٢، ع٣، ١٣٥٥ هـ ش، صص ٦٥٣-٦٧١.

٢٢- س١٢، ع٣، ١٣٥٥ هـ ش، صص ٦٥٣-٦٧١.

للفرنسيين وبعلاقة الثقافة الإيرانية لنظيرتها الفرنسية و...، وقد لقيت استقبالا في كثير من أقطار العالم^(٢٣)؛ غير أنها توقفت عن الصدور بعد موت حديدي. والحديث عن إسهامات المؤلف يطول. فقد كان المغفور له ذا ذوق أدبي حسن، وصاحب اطلاع واسع على الأدبين الفرنسي والفرسي، كما أنه من المتخصصين القليلين جداً في الأدب المقارن في إيران. وتقديراً لجهوده القيمة والمستمرة في نشر الأدب الفرنسي وثقافته، منحتة الحكومة الفرنسية وسام الفارس في الحق أن الدكتور حديدي يعتبر أبرز أنصار المفهوم الفرنسي المقارن في إيران، وقد ركز جهده على دراسة العلاقة الإيرانية للأدب الفرنسي؛ فالأدب القومي عنده هو نقطة الانطلاق، به يبدأ وإليه يعود.

وممن يمثل نزعة الأبحاث الإيرانية - العربية في دراساته المغفور له أبو القاسم حبيب الله، الذي ألف مقالات مختلفة في مجلة كلية الآداب و العلوم الإنسانية بجامعة فردوسي. ومن هذه المقالات: «متنبي در شیراز»^(٢٤) (= المتنبي في شیراز)؛ «ابوتام در نیشابور»^(٢٥) (= ابوتام في نيسابور)؛ «ابن مفرغ در سيستان»^(٢٦) (= ابن مفرغ في سيستان)؛ «مضامين مشترك در عربي و فارسي»^(٢٧) (= المعاني المشتركة في العربية والفرسية).

ويستفاد من مراجعة هذه الأبحاث أن المؤلف لم تكن لديه النية الواضحة للدراسة المقارنة، ومن هنا تمت أبحاثه بمعزل عن منهج الأدب المقارن. وشهد عام ١٣٤٦هـ ش/ ١٩٦٧م ظهور كتاب تطبيقي بعنوان: مقامه نويسی در ادبيات فارسی وتأثير مقامات عربي در آن^(٢٨) (= إنشاء المقامة في الأدب الفارسي وأثر المقامات العربية فيها)؛ ألفه الدكتور فارس إبراهيمي حريري، وضمنه

٢٣ - راجع: كتاب ماه ادبيات و فلسفه، ع ٤٦، ١٣٨٠، ص ١٢.

٢٤ - مجله دانشكده ادبيات و علوم انساني، س ١، ع ١، ١٣٤٤ هـ ش، صص ٧٨-٨٩.

٢٥ - م. ن، س ١، ش ٢ و ٣، ١٣٤٤ هـ ش، صص ١٩٨-٢٠٦.

٢٦ - م. ن، س ٢، ش ١، ١٣٤٥ هـ ش، صص ٤٧-٧٠.

٢٧ - و هو عنوان لسلسلة من المقالات نشرها المؤلف في المجلة نفسها و ذلك في الفترة الواقعة بين عامي ١٣٤٦-١٣٥٢ هـ ش.

٢٨ - طهران، انتشارات دانشگاه تهران.

معلومات قيمة بالنسبة للقارئ، غير أنه يزعم بأن كتاب گلستان لسعدي يمثل المقامات الإيرانية^(٢٩)، وقد تأثر في هذا بأستاذه ملك الشعراء بهار.

والحقيقة أن هذا القول قد أثار حفيظة البعض من غير الإيرانيين، وجعلهم يعترفون بفضل حكايات سعدي على فنّ المقامات العربية^(٣٠).

ومن المتخصصين الأوائل في مادة الأدب المقارن في إيران الدكتور حسن هنرمندی، الذي انتحرام عام ١٣٨١ هـ / ش / ٢٠٠٢ م. كان الدكتور هنرمندی خريج الأدب الفرنسي من جامعة السوربون، و كانت أطروحته في الدكتوراه في موضوع تطبيقي بعنوان: تأثير الأدب الفارسي في أعمال أندريه جيد.

ومنذ عام ١٣٤٦ هـ / ش / ١٩٦٧ م عادت جامعة طهران وبعض الجامعات الإيرانية - كجامعتي أصفهان ومشهد - تهتم من جديد بالأدب المقارن. ثم التحق الدكتور هنرمندی بجامعة طهران ومارس تدريس الأدب المقارن في هذه الجامعة منذ عام ١٣٤٧ هـ / ش / ١٩٦٨ م، مشدداً على دراسة علاقات الأدب الفارسي بالأدب الفرنسي، مؤلفاً من الكتب التطبيقية المقارنة ما يلي:

آندر زید وادبيات فارسي^(٣١) (= أندريه جيد و الأدب الفارسي): ويبدو أن هذا الكتاب هو في الأصل أطروحة للمؤلف تقدم بها لنيل الدكتوراه من السوربون، وهو من الكتب المنهجية في الأدب الفارسي المقارن، وقد درس فيه مصادر أندريه جيد الفارسية؛ سفرى در ركاب اندیشه، از جامي تا آرگن (= رحلة في صحبة الفكر، من جامي إلى أراغون): ألفه هنرمندی عام ١٣٥١ هـ / ش / ١٩٧٢ م، وقارن فيه بين أراغون وجامي، وتحدث فيه عن تأثر الأديب الفرنسي بالعطار، وعن اتصال الغرب بالشرق، وتجاوب بودلير مع حافظ، وإعجاب غوته بحافظ و...؛ بنياد شعر نو در فرانسه وبيوند آن با شعر فارسي^(٣٢) (= أساس الشعر الحديث في فرنسا وصلته بالشعر الفارسي).

٢٩- إبراهيمي حريري، ص «ج».

٣٠- راجع مثلاً: ندا، ٢٠١-٢٠٣.

٣١- طهران، دار زوار للنشر، ١٣٤٩ هـ ش.

٣٢- طهران، دار زوار للنشر، ١٣٥٠ هـ ش.

وبالمناسبة لا بد من الإشارة إلى أن المرحوم هنرمندى كان قد نقل من قبل كتاب الموائد الأرضية لأندريه جيد إلى الفارسية، وقدم له وعلق عليه، وكشف في تقديمه له عن مصادر المؤلف الإيرانية. فالكتاب المترجم^(٣٣) يدخل في صميم الدرس الأدبي المقارن.

ومن المؤلفين في حقل الأدب التطبيقي المقارن، الباحث والمترجم الدكتور محمد علي إسلامي ندوشن. تخرج الدكتور ندوشن في فرع الحقوق في جامعة السوربون، ولكنه سرعان ما ترك الحقوق إلى الأدب، وألف في هذا المجال دراسات مختلفة، منها كتابه المعنون: جام جهان بين^(٣٤) (=جام العالم)، ويحوي دراسات نقدية وتطبيقية. ومن الدراسات التطبيقية التي يتضمنها الكتاب: سودابه وفيدر؛ روميو وجولبيت وزال وسودابه؛ ويس وإيزوت؛ خويشاوندى فكرى ايران وهند (= القرابة الفكرية بين إيران والهند)؛ تأثير اروبا در تجدد ادبى ايران (= أثر أوروبا في تحديث الأدب الإيراني) و.... و أما المجلد الثاني للكتاب فهو يحمل عنوان آواها و ايمها^(٣٥) (= الأصوات و الإيماءات)، وفيه مقارنة بين فردوسي وهومير يرفض فيها أن يكون فردوسي قد تأثر بنظيره اليوناني رفضاً باتاً^(٣٦). ويمكن أن نقول الشيء نفسه عن المقالة التي تحمل عنوان: تولستوى، مولوى دوران جديد (= تولستوي، مولوي العصر الحديث).

وفي عام ١٣٥٠هـ / ش ١٩٧١م أصدر الباحث والناقد اللبناني الشهير فيكتور الكك كتاباً بالفارسية عنوانه: تأثير فرهنك عرب در أشعار منوچهرى دامغانى (= أثر الثقافة العربية في أشعار منوچهرى دامغانى). والدراسة تاريخية يتناول فيها المؤلف علاقة الشاعر الإيراني منوچهرى بالأدب والتراث العربي، غير أنه لا يقلل من أصالة الشاعر الفنية و مقدرته الأدبية.

والحديث عن إسهامات المؤلف يطول، وقد يكون مكانه في غير هذا العرض البالغ الاختصار.

٣٣- طهران، ١٣٤٧هـ ش.

٣٤- طهران، إيران، ط ٢، ١٣٤٥ هـ. ش.

٣٥- صدر عام ١٣٥٤ هـ ش في طهران (دار فطرة للنشر).

٣٦- ندوشن، ٦٤.

والدكتور أبو الحسن النجفي من الباحثين والمترجمين واللغويين الإيرانيين. له تأليفات عديدة، ولكن الذي يُهمنا من أعماله هنا مقال نظري عن الأدب المقارن نشره عام ١٣٥١ هـ / ش / ١٩٧٢م في مجلة آموزش و پرورش الشهرية. يشير الدكتور النجفي في هذا المقال العلمي إلى أحد التحديات الأساسية التي يواجهها الأدب الفارسي المقارن بقوله^(٣٧): «إن الدارسين الإيرانيين قد وجهوا همهم في الأغلب الأعم إلى الناحية التطبيقية، وعضوا الطرف عن الجانب النظري، بحيث يمكن القول إن تعريف هذا العلم و مجالات البحث فيه ما زالوا غير محددين في إيران».

والحق أن هذه المقالة من أفضل المقالات النظرية المقارنة التي كتبت لحد الآن في الأدب الفارسي.

ومن المؤسف أن الدكتور النجفي — الذي يعد الآن رئيساً لقسم الأدب المقارن بمعهد اللغة الفارسية — لم يتابع التأليف في الأدب المقارن بسبب انشغاله بتخصصه الأساسي في النقد وعلم اللغة، مع أنه زاول تدريس الأدب المقارن في كلية الآداب بجامعة إصفهان في الفترة من ١٣٤٦ إلى ١٣٤٨ هـ / ش / ١٩٦٧ - ١٩٦٩م.^(٣٨)

إن الناظر فيما كتبه الباحثون الإيرانيون في هذا اللون من البحث الأدبي يجد أنهم اتجهوا في الأغلب الأعم نحو أوروبا. بعبارة أخرى إن نزعة الأبحاث الإيرانية — الغربية تكاد تسيطر سيطرة تامة على نزعة الأبحاث الإيرانية — الإسلامية، ومرد ذلك، في ما نرى، أن معظم المقارنين والدارسين الإيرانيين الأوائل إنما كانوا من متخرجي الجامعات الأوروبية عامة و الفرنسية بوجه خاص، كما أن الاتجاه إلى أوروبا صحبته رؤية حضارية، بدت واضحة في ممارساتهم في محاولة للمقارنة بين الأدب الفارسي والحضارة الإيرانية القديمة وبين الأدب الأوربي الحديث.

والدكتور عبدالحسين زرین كوب (ت ١٣٧٨ هـ — ش / ١٩٩٩م) من الباحثين الإيرانيين المبرزين، له كتب ومقالات عديدة في الأدب الفارسي والأدب المقارن والتاريخ والتصوف و...، منها كتابه المعنون: یادداشتها و اندیشهها (= مذكرات وآراء). والكتاب صدر عام ١٣٥١ هـ / ش / ١٩٧٢م، وهو يتضمن مقالات تطبيقية

٣٧ — ماهنامه آموزش و پرورش، ع ٧، ج ٤١، ص ٤٣٥.

٣٨ — راجع: كتاب ماه ادبيات و فلسفه، ش ٤٦، ص ٧.

منها: سعدي در اروپا (= سعدي في أوروبا)؛ افسانه‌های عامیانه (= أساطير عامية)؛
گوته و ادبیات ایران (= غوته والأدب الإيراني)؛ ولرمانتوف شاعر روس
(=لرمانتوف الشاعر الروسي)، وفي هذا الأخير يكشف عن تأثر الشاعر الروسي
بالشاعر الإنكليزي بيرون.

على أن نزعة الأبحاث الإيرانية – العربية بدأت تطرح نفسها بقوة مع بداية
الخمسينيات الهجرية الشمسية في أعمال هذا العالم الموسوعي، ومن ذلك مثلاً كتابه
المعنون: نه شرقی، نه غربی – انسانی^(٣٩) (= لا شرقية، لاغربية، إنسانية). وفيه
يتحدث المؤلف عن كثير من مصادر سعدي العربية والفارسية، ويفرق في دقة بالغة
بين التأثير وبين توارد الخواطر و تقارب الأفكار مؤكداً على أصالة سعدي الفنية
ومقدرته الفائقة في التعبير.

ومن المقالات التطبيقية في الكتاب، مقالة مفصلة بعنوان: سیاحت بیدپای (= رحلة
بيدبا)، وفيه يتناول ظاهرة هجرة الأفكار والمعاني، ويحاول أن يفرق بين التشابهات
الناجمة عن التأثيرات أو التي منشؤها توارد الخواطر وتقارب الأفكار.

ومن الكتب التي أصدرها المرحوم زرین کوب كتاب بعنوان: نقش بر آب^(٤٠)
(=النقش على الماء). فيه بعض دراسات نقدية، وحديث عن بعض المعاني المشتركة
بين العربية والفارسية واليونانية، وقد أكد فيه على أهمية ظاهرة توارد الخواطر،
الناجمة عن التشابه في الأحوال والتجارب المشتركة في حياة الشعوب.

ومن الدراسات التطبيقية في الكتاب مقالة بعنوان: اشارات در حاشیه دیوان حافظ
(= ملحوظات في حواشي ديوان حافظ)؛ وفيه يتعرض لبعض مصادر حافظ العربية
ويحاول أن يفرق تفرقة علمية بين التأثيرات، وبين التوارد، وينكر أن يتم التأثر في
المعاني المشتركة والعامية.

وفي الكتاب أيضاً حديث بالغ الإيجاز عن تأثر بعض شعراء إيران من أمثال
العنصری والمنوچهری واللامعی والمعزی والأنوری والخيام ببعض شعراء
العرب.

٣٩ – طهران، أميرکبر، ١٣٥٣هـ. ش.

٤٠ – طهران، سخن، ط٣، ١٣٧٤هـ. ش.

ومن الكتب التي ألفها زرین کوب، كتاب بعنوان: از کوچه رندان^(٤١) (= من زقاق الشطار). والكتاب يتحدث عن حياة حافظ الشيرازي وأفكاره، ومصادر شعره – وهي عديدة – وأكثرها عربية، منها: القرآن الكريم والحديث الشريف والكشاف للزمخشري والمفتاح للسكاكي وديوان الحماسة الكبرى لأبي تمام والحماسة الصغرى للبحرني والأغاني لأبي الفرج الأصفهاني وأشعار المتنبي والمعري وأبي نواس وأبي فراس و.... ويشدد في الختام على أصالة حافظ ومقدرته في الإبداع.

ومن الكتب التطبيقية التي نشرها زرین کوب كتاب بعنوان: از گذشته ادبي ايران^(٤٢) (= من ماضي إيران الأدبي). فيه دراسات تطبيقية هامة، منها: اندرنامه‌های مزدیسنان وتأثیرشان در ادب عربی (= كتب النصيحة لمزدیسنان) (= عباد الإله) وأثرها في الأدب العربي؛ رديای قصه‌های غير ایرانی در فرهنگ ایران (= أثرالقصص الأجنبية في الثقافة الإيرانية)؛ پیوند زبان و فرهنگ عربی با میراث باستانی زبان پهلوی (= صلة اللغة والثقافة العربية بالتراث البهلوي)؛ ویژگی‌هایی که شعر فارسی را از عربی متمایز می کند (= السمات التي تميز الشعر الفارسي عن الشعر العربي)؛ وتأثیر متقابل شعر فارسی و عربی در یکدیگر (=التأثيرات المتبادلة بين الشعر الفارسي و العربي).

ومن المؤكد أن هناك دراسات تطبيقية أخرى ألفها الدكتور زرین کوب، ولكن الذي تجدر الإشارة إليه هو مقال نظري رائد ألفه الدكتور عام ١٣٣٨ هـ ش/ ١٩٥٩م، ونشره في كتاب له بعنوان: آشنایی با نقد ادبی (= التعرف إلى النقد الأدبي). ويمثل هذا المقال آراء المقارن الفرنسي جويار أدق تمثيل وأجزه.

وممن يمثل نزعة الأبحاث الإيرانية – العربية في بعض أعماله الشاعر والباحث الإيراني الكبير الدكتور محمد رضا شفيعی كدكنی. له تألیفات قيمة ودواوين شعرية مختلفة، منها كتابه: صور خیال در شعر فارسی^(٤٣) (= صور الخيال في الشعر الفارسي)، والكتاب قسمان : تناول في القسم الأول منه القضايا العامة المتعلقة بصور

٤١ – طهران، شرکت سهامی کتابهای جیبی، چاپخانه زیبا.

٤٢ – طهران، انتشارات الهدی، ١٣٧٥ هـ ش.

٤٣ – طهران، آگاه، ١٣٥٠ هـ ش.

الخيال، ونقد وحلل آراء البلاغيين المسلمين حول البيان وأساليبه المختلفة و... أما القسم الثاني من الكتاب فهو مليء بالإشارات والأمثلة التطبيقية، وقد درس فيه تطور صور الخيال في الشعر الفارسي منذ نشأته حتى نهاية القرن الخامس الهجري، وتحديث عن تأثر شعراء إيران ببعض صور الخيال العربية، وهو القائل: " إن قسما كبيرا من التشبيهات [المستعملة في الأدبين] من إبداع الإيرانيين، وإن كان ظهورها في الشعر العربي أسرع، حسب الوثائق الموجودة»^(٤٤).

ومن الذين يمثلون نزعة الأبحاث الإيرانية - العربية الباحث واللغوي والمترجم الشهير الدكتور آذرتاش آذرنوش. نال الدكتور آذرنوش شهادة الدكتوراه في الأدب العربي من جامعة باريس. له آثار عديدة قيمة، منها كتابه المعنون: راههای نفوذ فارسی در فرهنگ و زبان عرب جاهلی^(٤٥) (= سبل نفوذ الفارسية في الأدب في الجاهلية). والحق أن الكتاب يدخل في صميم البحث التطبيقي التاريخي المقارن، ويكشف عن إلمام المؤلف بموضوع الاستعارات اللغوية باعتبارها فرعاً من فروع الأدب المقارن في مفهومه الفرنسي التاريخي.

يتحدث المؤلف في الكتاب عن جميع الدول الصغيرة والكبيرة التي ظهرت قبل الإسلام في شبه الجزيرة، ويدرس صلاتها المختلفة من سياسية وعسكرية وثقافية واقتصادية أو فنية مع الإيرانيين، ويبحث عن الآثار التي ظهرت في جزيرة العرب من جراء هذه العلاقات.

والجانب الأهم في الكتاب حديثه المفصل عن المعربات أو الألفاظ الفارسية في الشعر الجاهلي. يقول المؤلف: "... ثمة ألفاظ فارسية كثيرة في الشعر الجاهلي، غير أنه لا يمكن الاعتماد على هذا الشعر اعتماداً كلياً. يحتمل أن تكون قد حذفت مجموعة من الألفاظ الفارسية الشائعة عند الجاهليين من هذه الأشعار أو قد أضيف إليها بعض المفردات المعروفة في العصر الإسلامي. رغم هذا كله، فالشعر الجاهلي هو الوثيقة الوحيدة التي يمتلكها الدارسون"^(٤٦).

٤٤ - شفيعي كدكني، ٣٧٤.

٤٥ - طهران، توس، ط ٢، ٥١٣٧٤.ش. وقد نقله إلى العربية محمد التوحجي، و نشره عام ٢٠٠٤م في اجمع الثقافي في أبوظبي.

٤٦ - آذرنوش، ١٢٢.

وفي معرض حديثه عن المعرّبات يقدم المؤلف قائمة بأكثر من ١٠٠ لفظة فارسية شقت طريقها إلى الشعر الجاهلي، ويقسمها إلى عدة أقسام كما يلي:

ألفاظ قديمة دخلت اللغات السامية، ثم أخذها العرب من أقاربهم الساميين؛ الألفاظ التي دخلت العربية من البهلوية مباشرة، وبخاصة في القرنين الأخيرين من حكم الساسانيين؛ ألفاظ أجنبية دخلت اللغات الإيرانية في البدء (كالزنجفيل من اللغات الهندية، أو البريد من الأصل الرومي على الأرجح)، ثم دخلت العربية بمعانيها الجديدة^(٤٧).

والحقيقة أن الدكتور آذرنوش من أبرع الدارسين في حقل المعرّبات. فقد أنفق أكثر من ثلاثين عاماً من عمره في هذا المجال. ومن جيد قوله عن هذه الظاهرة: "إن علماء المعرّبات قد أهملوا جانبين هامين في العملية المعجمية: الأول، أنهم لم يحفلوا باللغات الأجنبية - سامية كانت أم هندوأوربية - إلا في القليل النادر، واكتفوا بالفارسية التي كانت شائعة كل الشيوع، ليس في البلاد الإيرانية فحسب، بل في العراق كذلك.

والنقطة الثانية التي تؤخذ عليهم هي هذه المنهجية الغربية التي انتهجوها للحصول على أصول الكلمات، فقد اعتمدوا في ذلك عادة على الذوق والخيال"^(٤٨).

ومن أحدث الكتب التي ألفها الدكتور آذرنوش كتاب بعنوان: چالش میان فارسی و عربی^(٤٩) (= الصراع بين الفارسية والعربية). والحقيقة أن هذا الكتاب حافل بالإشارات والأمثلة والمواضيع التطبيقية بين العربية والفارسية، وقد مارس فيه المؤلف المنهج التاريخي فعلاً.

ويمكننا أن نلخص موضوع هذا الكتاب القيم في العبارات التالية:

يتمحور البحث حول اللغتين الفارسية والعربية من منظور علم الاجتماع والتاريخ؛ إن جانباً كبيراً من الكتاب يتعلق بالحديث عن الذين كانوا يتحدثون بالفارسية أو العربية في إقليم فارس؛ هناك وثائق تدل على أن الفارسية الدرّية كانت أكثر رواجاً وأشدّ امتداداً مما يظن المستشرقون وبعض الدارسين؛ لم يبدد الإيرانيون أيّ اهتمام

٤٧- م. س، ١٢٢-١٢٣.

٤٨- مجلة الجمعية العلمية الإيرانية للغة العربية وآدابها، س ٢، ش ٥، ص ١٦٦.

٤٩- طهران، دار ني للنشر، ١٣٨٥هـ ش.

بلهجات القبائل العربية التي استوطنت إيران، وإنما كانوا يعنون بالعربية الفصحى المستخدمة في الدواوين وعند طبقة النبلاء من ذوي الأصول العربية والكثير من الموالي؛ في هذا الكتاب محاولة علمية لتحديد حدود اللغة العربية في إيران، ولتحديد مجال للفارسية باعتبارها لغة عامة الشعب الإيراني ولغة الأدب الفارسي، شعره ونثره؛ أثر اللغة العربية في الفارسية ظاهرة معروفة ومدروسة، ولكن دراسة أثر الفارسية في العربية ظلت مقصورة في الأغلب على موضوع المعربات والجانب الخلفي؛ وفي الكتاب محاولة لإثبات أثر الشعر الفارسي وبعض قوالبه ومعانيه وأمثاله في الشعر العربي، حيث نرى هذا الأثر الواسع منذ أواخر القرن الرابع الهجري إلى نهاية القرن السادس الهجري مع بعض الاستثناءات؛ في هذا الصراع الذي احتدم بين اللغتين سعى الكثير من الفرس لصيانة لغتهم. وبالمقابل وقف الكثيرون منهم - ومعظمهم من المتقفين - في وجه الفارسية والتقاليد الإيرانية، واتخذوا العربية لغتهم و خضعوا للتقاليد الإسلامية. وفي هذا المشهد تتجلى قضية "الهوية" في أشكالها المختلفة.

ولدى حديثنا الموجز عن بعض إسهامات الدكتور آذرنوش لآبد من الإشارة إلى بعض مقالاته التطبيقية العديدة التي نشرها في الدوريات المختلفة من إيرانية وفرنسية أو في المجلات المختلفة من دائرة المعارف الإسلامية الكبرى و...، ونذكر منها ما يلي:

«إيران ساسانی در اشعار عدي بن زيد شاعر»^(٥٠) (= إيران الساسانية في أشعار عدي بن زيد الشاعر)؛ «واژه های فارسی در شعر جاهلی»^(٥١) (= الكلمات الفارسية في الشعر الجاهلي)؛ «إيران ساساني در ديوان اعشى»^(٥٢) (= إيران الساسانية في ديوان الأعشى)؛ «ترجمه اشعار كهـن فارسی به عربی»^(٥٣) (= ترجمة الأشعار الفارسية القديمة إلى العربية)، و....

٥٠- نشریه انجمن فرهنگ ایران باستان، ١٣٥١ هـ ش، صص ٩٥-١٢٣.

٥١- مقالات و بررسیها، ش ٢، دفتر ٣، ١٣٥٦ هـ ش.

٥٢- م. ن، ش ٦٢، ١٣٧٦ هـ ش، صص ١٠٥-١١٥.

٥٣- م. ن، دفتر ٦٩، ١٣٨٠ هـ ش، صص ١٦٥-١٧٥.

يبقى بعد هذا أن نشير إلى أن الدكتور آذرنوش لم يشر في أي من دراساته – سواء منها ما ذكرنا أم لم نذكر – إلى مصطلح الأدب المقارن ومفاهيمه. بعبارة أخرى، إنه مارس الأدب المقارن مباشرة بدخوله إلى التطبيق. وهذا يكاد يكون مشتركا في الأدب الفارسي المقارن، مع بعض الاستثناءات القليلة.

وفي عام ١٣٥٤ هـ / ش / ١٩٧٥ م صدر كتاب تطبيقي بعنوان: بيوند عشق ميان شرق وغرب^(٥٤) (= أصرة الحب بين الشرق و الغرب). والكتاب من تأليف جلال ستاري، وهو يقع في أربعة فصول كما يلي:

تلخيص كتاب جان كلود وادي (J. Claude vadet) حول سير تطور الحب العذري وأصوله في الأدب العربي و الإسلامي؛ سر تسلل ظاهرة الحب العذري من العالم الإسلامي إلى العالم المسيحي من خلال الأندلس؛ خلاصة أبحاث دني دو رجمون (d. de Rougemont) عن البنية الصوفية والأصول الإيرانية لقصة تريستان وإيزوت و أشعار التروبادور؛ دراسة العلاقات بين ليلي والمجنون، وويس ورامين، وتريستان وإيزوت. وفي هذا الأخير يؤكد الباحث على أن الإيرانيين سبقوا العرب والغربيين إلى إنشاد قصص الحب!

وللدكتور ستاري كتاب آخر يدخل في صميم البحث التطبيقي المقارن، ونقصد به افسون شهرزاد^(٥٥) (= سحر شهرزاد). وهذه الدراسة بحث مفصل في أصل كتاب ألف ليلة و ليلة ومصادر قصصه، ولكنه يفتقد أية إشارة إلى مصطلح الأدب المقارن ومناهجه و....

وفي عام ١٣٥٧ هـ / ش / ١٩٧٨ م أصدرت الباحثة كوكب صفاري كتاباً في الأدب التطبيقي المقارن بعنوان: افسانهها وداستانهای ایرانی در ادبیات انگلیسی (= أساطير وقصص إيرانية في الأدب الإنكليزي). والكتاب من الدراسات المنهجية التي ألفت في الأدب الفارسي المقارن.

٥٤ – طهران، وزارت فرهنگ و هنر.

٥٥ – طهران، توس، ١٣٦٨ هـ ش.

الأدب الفارسي المقارن بعد الثورة

في عام ١٣٥٧هـ ش/ ١٩٧٨م حدثت الثورة الإسلامية في إيران، تبعته عام ١٣٥٩هـ ش/ ١٩٨٠م فكرة الثورة الثقافية، وبالتالي إغلاق الجامعات الإيرانية - كما هو معروف - ثم تعرضت البلاد للغزو العراقي الغاشم. ونتيجة للعوامل المذكورة ألغي تدريس مادة الأدب المقارن للمرة الثانية في الجامعات، ولم يظهر اهتمام به على الصعيد الجامعي إلا في منتصف السبعينيات الهجرية الشمسية.

إن بلاد إيران تملك ثروة هائلة من العطاء، ومن التأثير في الأدب العالمي، مما يتيح المجال لدراسات مقارنة شديدة الخصوبة، ولكن للأسف لم يكن الأدب المقارن محظوظاً قط في هذا البلد، وبخاصة في الأعوام الأولى من الثورة. ومما زاد الأمر سوءاً ظهور دراسات في هذا الحقل المعرفي صلتها بالأدب المقارن هامشية، أو إنها لا تمت بصلة إلى الأدب المقارن في معناه العلمي، كما سنرى بعد قليل.

وإليك قائمة بمعظم الدراسات والأبحاث التي تمت بعد الثورة في هذا المجال؛ وسوف يجد القارئ أن أكثر هذه المحاولات لا تقوم على المنهجية العلمية وعلى نية القصدية، التي تعتبر ضرورية في الأدب المقارن.

- درباره ادبيات و نقد ادبی^(٥٦) (=حول الأدب و النقد الأدبي)، خسرو فرشيدورد؛ وفيه مقالة عن الأدب المقارن يتضمن تعريفاً موجزاً له وفق مفهومه التاريخي، وفيه يشير إلى ظاهرة التأثيرات والتشابهاً وتوارد الخواطر، ثم يتحدث في إيجاز بالغ عن أثر الأدب الفارسي في بعض الآداب الغربية والشرقية وتأثره بهذه الآداب.

ويؤخذ على المؤلف أنه لا يشير في مقاله هذا إلى المدرسة الأمريكية، لا من قريب ولا من بعيد، ويتجاهل الخلافات النظرية الكبيرة التي ظهرت في الغرب حول هذا اللون من البحث الأدبي.

٥٦- طهران، أمير كبير، ١٣٦٣هـ ش، صص ٨٠٨-٨٤١.

— نقد تطبيقي ادبيات إيران وعرب، جعفر سجادي^(٥٧): إن هذه الدراسة الضخمة يعتبرها أحد المتخصصين في الأدب المقارن في إيران « أول دراسة تطبيقية منسقة عن الأدب المقارن، وبخاصة في حقل المقارنة بين الأدبين العربي و الفارسي»^(٥٨). وفي هذا الحكم من التسرع والجهل ما لا يخفى. فهناك دراسات تطبيقية ذات منهجية سبقت هذه الدراسة، أشرنا إليها في ما سبق، منها على سبيل المثال دراسات تطبيقية أنجزها الدكتور محمد محمدي والدكتور زرین كوب و.... والأهم من ذلك كله أنّ المؤلف قد درس في أكثر من ٢٥٠ صفحة من كتابه هذا تاريخ خلفاء المسلمين منذ العصر الأموي إلى نهاية العصر العباسي، كما تحدث عن تاريخ الأدب الفارسي منذ بدايته إلى نهاية الحكم السلجوقي. ولاشك أن صلة هذه القضايا بالأدب المقارن هامشية؛ فهي من التاريخ المقارن، وليست من الأدب المقارن في شيء. ثم يتحدث المؤلف في إيجاز بالغ عن علاقة الأدب العربي بالأدب الفارسي، وهو حديث مكرّر وسطحي، يفتقد أية معلومة جديدة بالنسبة للقارئ المنتبِع.

ويبدو أن رغبة المؤلف في تضخيم الكتاب قد دفع به إلى إضافة صفحات كثيرة إلى هذا العمل تتصل أساساً بالتاريخ، أو بتاريخ الأدب أو السياسة و... وصلتها بالأدب المقارن — كما أسلفنا — هامشية. ولا يفوتنا أن نشير إلى أن هناك إشارات تطبيقية شديدة الإيجاز أوردها المؤلف في الفصل الأخير من كتابه، وهي تفتقر إلى المنهجية والعمق؛ فلا غرو إذا ما اعتبرنا عنوان الكتاب خادعاً، وصداه معدوماً في الآداب الفارسية المقارنة.

— مأخذ قصص وتمثيلات مثويهاى عطار نيشابورى^(٥٩) (= مصادر قصص وتمثيلات مثويات العطار النيسابوري)، فاطمة صنعتي نيا: وهذه الدراسة تخلو — كالدراسة السابقة — من الإشارة إلى الأدب المقارن، وتدخل رأساً في الموضوع؛ وفيها^(٦٠) ترى المؤلفة أن مصادر قصص العطار متعددة ومتنوعة، أهمها القرآن الكريم والحديث والمأثورات الدينية كتب قصص القرآن وكشف الأسرار.

٥٧ — طهران، شركت مؤلفان و مترجمان ايران، ١٣٦٩ هـ. ش.

٥٨ — انظر: سجادي، ٤٧.

٥٩ — طهران، زوار، ١٣٦٩ هـ. ش.

٦٠ — صنعتي نيا، ص ١٢.

وفي مطلع السبعينيات الهجرية الشمسية ظهرت عدة دراسات حول أثر القرآن الكريم في الشعر الفارسي وبخاصة في شعر جلال الدين الرومي. والحق أنّ مثل هذه الأبحاث قد أصبحت مكرورة وهي في الأغلب تخلو من العمق والمنهجية العلمية، كما أنها تهمل الشعر الحديث وعلاقته بالنص القرآني ومعانيه السامية. ومن هذه الدراسات:

— آيات مثوى معنوى (= الآي القرآنية في المثوى)، نظام الدين نوري، طهران، انتشارات بارقة، ١٣٧٠هـ ش/١٩٩١م؛ آيات مثوى، محمود درگاهي، طهران، أميركبير، ١٣٧٠هـ ش؛

تأثير قرآن بر نظم فارسي (= أثر القرآن الكريم في الشعر الفارسي)، عبد الحميد حيرت سجادي، طهران، أميركبير، ١٣٧١هـ ش/١٩٩٢م؛ تأثير قرآن و حديث در ادبيات فارسي (= أثر القرآن و الحديث في الأدب الفارسي)، علي اصغر حلبى، طهران، أساطير، ١٣٧١هـ ش.

— مضامين مشترك در ادب فارسي و عربي^(٦١) (= المضامين المشتركة في الأدبين الفارسي والعربي)، محمد دامادي: وفيه يُنكر المؤلف أن يتم الاقتباس والأخذ في المعاني المشتركة، ويرفض ظاهرة التأثيرات ويرجع التشابه في الأفكار والمعاني إلى وحدة حاجات الإنسان وتشابه معضلاته وألغازه وقضاياه وصعوباته^(٦٢).

ولا ندرى مصدر هذه اليقينية في رفض التأثر والتأثير، مع أنه أمر حتمي، ولا يخلو أي أدب من التأثر بأداب أمم أخرى. ثم إن التأثر لا يعد عيباً على حد قول كبار المقارنين العالميين.

فلننظر إلى فايشتاين الرئيس السابق للرابطة الدولية للأدب المقارن، وهو يتحدث عن هذه الظاهرة بقوله: « ليس مما يمس الكرامة أن يتلقى المؤلف شيئاً، كما أنه ليس مما يستحق المدح أن يرسل مؤلف ما تأثيراً »^(٦٣).

٦١- طهران، انتشارات دانشگاه تهران، ١٣٧١هـ ش.

٦٢- دامادي، المقدمة، ص ١٤.

٦٣- فايشتاين، فصول، ع ٣م، ٣م، ١٩٨٣م، ١: ١٩.

ودون أن نتوخى الدخول في تفاصيل هذا الكتاب — الذي لا يحمل أي إشارة إلى مصطلح الأدب المقارن ومناهجه — نودّ تذكير مؤلفه بأن الرفض المطلق كالتقبل على إطلاقه ليس عملاً منهجياً ولا مقبولاً. فالأصح هو أن معظم ما أورده المؤلف من أشعار وأمثال متشابهة يدخل في باب التأثيرات، وأن قليلاً منها وليد صدفة أو توارد أو تقارب في الأفكار والآراء.

— بررسي تطبيقي خشم وهياهو و شازده احتجاج^(٦٤) (= دراسة مقارنة بين السخط والصراخ وأمير الاحتجاج)، صالح حسيني: وهذه الدراسة مقارنة منهجية بين «خشم وهياهو» لويليام فوكنر و «شازده احتجاج» لهوشنگ گلشيري.

— وازگان فارسی در زبانهای اروپایی (= الألفاظ الفارسية في اللغات الأوروبية)، منيرة أحمد سلطاني، طهران، آوای نور، ١٣٧٢هـ ش؛ فرهنگ واژه های دخیل اروپایی در فارسی (= معجم الألفاظ الأوربية الدخيلة في الفارسية)، رضا زمرديان، مشهد، آستان قدس رضوی، ١٣٧٣هـ ش/١٩٩٤م؛ از سعدی تا آرگون (= من سعدي إلى أراغون)، جواد حديدي، طهران، مركز نشر دانشگاهی، ١٣٧٤هـ ش/١٩٩٥م: وقد أشرنا آنفا إلى هذا العمل المنهجي القيم.

— «منشأ قصه لیلی ومجنون»^(٦٥) (= منشأ قصة لیلی والمجنون)، ذبيح الله صفا: والدراسة تلقي ضوء على بعض التعديلات التي أحدثها الشاعر الإيراني نظامي في الأصل العربي لقصة مجنون لیلی لكي تتلاءم مع طبيعة الإيرانيين وتقاليدهم.

— سعدي ومنتبي^(٦٦) (= بين سعدي ومنتبي)، أمير محمود أنوار: والحقيقة أن هذه الدراسة ليست من الأدب المقارن العلمي في شيء، لأنها مبنية على المفاضلة التي يرفضها جميع المقارنين، كما أنها تفتقر إلى المنهجية المقارنة وتهمل الصلات التاريخية بين الأدبيين العملاقين: سعدي ومنتبي.

والملاحظ أن المؤلف قد يطلق — في هذا الكتيب — أحكاماً قاسية عن المنتبي، ويغتمه حقه، أو قديغلو أحياناً في الدفاع عن سعدي، مع أنه غني عن ذلك. لننظر

٦٤— طهران، نیلوفر، ١٣٧٢هـ ش.

٦٥— سخواره، به كوشش ایرج افشار و دکتر هانس روبرت رومیرو، طهران، انتشارات توس، ١٣٧٦هـ ش، صص ٣٦٧-٣٧٧.

٦٦— طهران، انوار دانش، ١٣٨٠هـ ش.

إليه، وهو ينهي حديثه عن الشعاعين: «لو يدرك المتنبي سعدي أو يولد بعده، لاقتبس آلاف الحكم من حكمه و لألغيت آلاف الأبيات من أبياته في الغطرسة والفتك والإغراق والتملق...»^(٦٧). ثم يختم دراسته بقوله:

«لولا شعر سعدي وأدبه لذهب نصف أدب الشرق وتلث أدب العالم»^(٦٨).

وغني عن البيان أن مثل هذه الأحكام المبالغ فيها أو القاسية قد تجاوزها الزمن، وأنها لا تتفق وغاية الأدب المقارن، الذي يدعو إلى التخفيف من التعصب الأعمى للأدب القومي والتخلص من وهم التفوق على الآخر....

— تجلي أوصاف إمام علي (ع) در أدب فارسي^(٦٩) (= تجلي صفات الإمام علي (ع) في الأدب الفارسي)، يدالله طالشى: والكتاب ليس من الأدب المقارن في شيء، فهو لا يعدو كونه محاولة لاستخراج أبيات من شعراء إيران ذكرت فيها بعض صفات الإمام (ع)، دون أن يشير إلى شخصية الإمام التاريخية والدينية والبطولية، التي من شأنها أن توفر مصدرا خصبا للمقارنة في الآداب الإسلامية.

— ايوان مدائن از ديدگاه دو شاعر نامى تازى و پارسى: بحتري و خاقاني (=ايوان المدائن من منظور شاعرين شهيرين البحتري العربي و خاقاني الإيراني): وهو عنوان محاضرة ألقاها الكاتب عام ١٣٥٤هـ ش / ١٩٧٥م في ملتقى الأبحاث الإيرانية الرابع في شيراز، ثم طبعتها في كتاب يحمل العنوان ذاته عام ١٣٨٣هـ ش / ٢٠٠٤م، وفيه إضافات و زيادات كالشرح المنظوم والمنثور لقصيدة البحتري في وصف الإيوان.

والملاحظ أنه لا يوجد لدى المؤلف إلحاح علمي على تأطير ما كتبه في إطار الأدب المقارن. بعبارة أخرى إنه يقارن بين قصيدة البحتري وقصيدة خاقاني، ولكن دون تأطير نظري. فالأدب المقارن ليس هو الموازنة أو المقارنة البسيطة بين الظواهر الأدبية، ولكنه يقوم بدراسة الصلات الخارجية بين الآداب المختلفة، دون أن يتخذ من المقارنة هدفاً له.

٦٧- أنوار، ٧٧.

٦٨- م.س، ٧٨.

٦٩- طهران، أمير كبير، ١٣٨٢هـ ش.

— قرآن و مثنوی^(٧٠) (= القرآن الكريم و المثنوي)، بهاء الدين خرمشاهي وسيامک مختاري: وفي هذه الدراسة الضخمة يتناول الباحثان قضية الألفاظ والمعاني القرآنية في أبيات مثنوي المولوي، ويتحدثان عن التضمين والاقْتباس والإلهام، وكلها من مظاهر التناص القرآني في المثنوي.

— خيام نامه^(٧١) (= كتاب الخيام)، محمدرضا قنبري: وفيه نجد حديثاً عن قالب الرباعي وأصله — وهو أمر خلافي — كما فيه حديث عن مصادر الأدب الخيامي، ومن أهمها أدب أبي العلاء المعري، ولكن هذا التأثير في رأي المؤلف لم يكن ليقلل من أصالة الخيام الفنية.

— پنداره‌ای یونانی در مثنوی^(٧٢) (= الأخيلة اليونانية في المثنوي)، فاطمة حيدري: وهو من الدراسات القليلة التي ظهرت في مجال الأبحاث الإيرانية-اليونانية، وهي تقوم على الكشف عن تشابه الفكر اليوناني والصوفي، وتتخذ من المثنوي محوراً للدراسة. وفي الكتاب حديث عن التأثيرات المتبادلة بين الثقافات وعن تسرب الفكر اليوناني إلى العالم الإسلامي وإيران.

اقبال وده چهره ديگر^(٧٣) (= إقبال وعشر شخصيات أخرى)، محمد بقايي: وفي هذه الدراسة المنهجية يقارن المؤلف بين أفكار إقبال وعدد من الوجوه البارزة كهومير والحلاج والسنائي والسهورودي وجلال الدين الرومي والشيخ محمود الشبستري وكسروي وهرمان هيسه ومحمد علي جناح وأنا ماري شيمل، ويزعم بأن كثيراً من هذه التشابهات جاءت نتيجة مصادفة^(٧٤).

— مار وكاج، سمبولهای جاودان در ادبیات فارسی و ژاپنی (= الحية وشجرة الأرز: رمزان خالدان في الأدبين الفارسي والياباني)، ناهوكو تاواراتاني، طهران، نشر گلشن، ١٣٨٥هـ ش؛ تأثير زبان فارسي بر زبان ازيكى (= تأثير اللغة الفارسية على اللغة الأزيكية)، عباسعلی وفايي، طهران، نشر بين المللي الهدی، ١٣٨٥هـ ش؛

٧٠ — طهران، نشر قطره، ١٣٨٣هـ ش.

٧١ — طهران، نشر زوار، ١٣٨٤هـ ش.

٧٢ — طهران، نشر روزنه، ١٣٨٤هـ ش.

٧٣ — طهران، انتشارات حکایت ديگر، ١٣٨٥هـ ش.

٧٤ — راجع: بقايي، المقدمة، ص ١٣.

مقاييسه تطبيقي سهراب سپهرى وجبران خليل جبران (= مقارنة تطبيقية بين سهراب سپهرى وجبران خليل جبران)، مهدي رامشيني، طهران، فرهنگسرای ميردشتي، ١٣٨٥هـ ش. وتناول المؤلف مواطن الشبه بين الأدبيين الفنانين؛ عناصر فرهنگ و ادب ایرانی در شعر عثمانی از قرن ٩ تا ١٢هـ ق (= عناصر الثقافة والأدب الإيرانيين في الشعر العثماني من القرن التاسع إلى القرن الثاني عشر للهجرة)، شادي آيين، طهران، انتشارات أميركبير، ١٣٨٥هـ ش؛ قرآن درمثنوی، مدخل (= القرآن في المثنوي، المدخل)، علي رضا ميرزا محمد، طهران، پژوهشگاه علوم إنسانی ومطالعات فرهنگی، ١٣٨٦هـ ش/٢٠٠٧م؛ از جبران تا سهراب (= من جبران إلى سهراب)، كريم فيضي، طهران، نشر ثالث، ١٣٨٦هـ ش؛ الأدب المقارن: دراسات تطبيقية، علي صابري، طهران، انتشارات شرح، ١٣٨٦هـ ش؛ ادبيات تطبيقية، با تكيه بر مقارنة بهار وشوقي^(٧٥) (= الأدب المقارن، مقارنة بين بهار وشوقي نموذجاً)، أبو الحسن أمين مقدسي: الجانب النظري في الكتاب ضعيف جداً، كما أن المقارنة التي أجراها المؤلف بين الشاعرين إنما تدور حول نزعة كل منهما نحو العلم وتحصيله، وهي مقارنة بسيطة لا تخدم قضية التبادلات الأدبية والثقافية بين الشعبين العربي والإيراني.

— ادبيات ایران در ادبيات جهان^(٧٦) (= الأدب الإيراني بين الآداب العالمية)، أمير إسماعيل آذر: يتعرض فيه المؤلف للجانبين النظري والتطبيقي، ولكنه لا يشير— لا من قريب ولا من بعيد — إلى تطور الأدب المقارن في أمريكا ولا حتى في فرنسا؛ غير أنه في الجانب التطبيقي يعالج مواضيع شيقة وأحياناً مكرورة، منها: رحلة القصص والأساطير الإيرانية إلى أوروبا؛ ألف ليلة وليلة وعشاق الأدب الغربيين؛ شهرة كنيهة ودمنة وذبوع حكاياته؛ دانتي وتأثره بالمصادر الشرقية و....

— تجلی قرآن و حديث در شعر فارسی^(٧٧) (= تجلی القرآن والحديث في الشعر الفارسي)، سيد محمد راستگو: والموضوع مطروق بكثرة في الأدب الفارسي، و

٧٥— طهران، ١٣٨٧هـ ش.

٧٦— طهران، نشر سخن، ط ١٣٨٧، ٢هـ ش.

٧٧— طهران، انتشارات سمت، ١٣٨٧هـ ش.

يحسن بالدارسين الإيرانيين أن يتناولوا في أعمالهم أثر القرآن والحديث الشريف في الأدب الفارسي الحديث والمعاصر.

— آيينه ی آفتاب^(٧٨) (= مرآة الشمس)، به كوشش بهمن نامور مطلق، امير علي نجوميان وسعيد فيروز آبادي: والكتاب دراسة منهجية حول صدى شخصية الشاعر الصوفي مولوي وأعماله في الغرب.

وفي نهاية المطاف لابد من الإشارة إلى أبرز التحديات والعوائق التي ظلت وما تزال تحول دون نمو الأدب المقارن وازدهاره في إيران، وهي كما يلي:

١- ندرة عدد المتخصصين في الأدب المقارن في إيران، وإيكال تدريس هذه المادة الدراسية المعقدة إلى غير المتخصصين.

٢- تدريس الأدب المقارن في الجامعات الإيرانية في حيز محدود جدا من الساعات المقررة (ساعتان أسبوعياً).

٣- غياب أقسام خاصة للأدب المقارن في الجامعات الإيرانية، ووجود قصور واضح لدى الجامعيين و القائمين على الأمور في تحديد أهميته ودوره الراهن.

٤- غياب دورية فارسية متخصصة بالأدب المقارن^(٧٩)، وعدم اهتمام الدوريات الأدبية الفارسية بالنواحي النظرية للأدب المقارن إلا في القليل النادر.

٥- ضعف التسهيلات البحثية و المكتبية، وقلة المصادر المرتبطة بالأدب المقارن في المكتبات العامة والخاصة.

٦- غياب معهد وطني للأدب المقارن يجمع المقارنين والدارسين، ويوحد جهودهم ويرعاهم.

٧- غياب إيراني تام عن المؤتمرات الدولية للأدب المقارن، وغياب تام أو شبه تام عن الندوات والملتقيات الإقليمية حول قضايا الأدب المقارن.

٧٨- طهران، انتشارات علمي و فرهنگي، ١٣٨٨هـ ش.

٧٩- تصدر منذ عام ١٣٨٦هـ ش فصلية باسم ادبيات تطبيقي في جامعة جيرفت الحرة، و لكنها ما زالت في بداية طريقها الطويل، كما ظهرت في الأشهر الأخيرة من العام الإيراني المنصرم فصلية بعنوان: ادبيات تطبيقي، تصدرها جامعة الشهيد باهنر بكرمان، و المجلة تعنى بعلاقة الأدب الفارسي للأدب العربي، و قد كان عددها الأول مشتملا على الغث و السمين، و لكنها تبشر بمستقبل زاهر.

- ٨- ضعف التواصل العلمي أو انعدامه بين الدارسين والجامعيين الإيرانيين.
- ٩- افتقار الأدب الفارسي المقارن إلى نماذج مقارنة ذات أسس نظرية وعلمية واضحة.
- ١٠- انبهار الدراسات المقارنة في إيران بتاريخية المدرسة الفرنسية، وسيطرة مفهوم التأثيرات الضيق على أذهان الباحثين الإيرانيين حتى اليوم، وعدم وقوف معظم هؤلاء على تطورات الأدب المقارن في العقود الأخيرة في الغرب.
- ١١- افتقار الأدب الفارسي المقارن إلى التقويم العلمي والنقد والمنبر المفتوح للحوار و... إلخ.

ويتبين من الاستعراض السابق أن الأدب الفارسي المقارن في وضع لا يحسد عليه، غير أن المرء يمكن أن يلاحظ تزايد الاهتمام بالدراسات المقارنة في الأعوام الأخيرة. ومثل هذا الحماس و التقدم الظاهري يجب أن لا يلهينا عن القيام بإزالة العوامل المثبطة والعوائق الموجودة.

أهم المصادر

- ١- آذرنوش، آذرتاش، *جالش میان فارسی و عربی*، تهران، نشر نی، ١٣٨٥ هـ ش.
- ٢- —، *راههای نفوذ فارسی در فرهنگ و زبان عرب جاهلی*، تهران، نشر توس، چاپ دوم، ١٣٧٤ هـ ش.
- ٣- آذرنوش، آذرتاش، «التعامل الثقافي بين الفارسية والعربية، بحث في المعربات»، مجلة الجمعية العلمية الإيرانية للغة العربية وآدابها، الربيع والصيف ١٣٨٥ هـ ش، العدد ٥، السنة الثانية، ١٣٨٦ هـ ش، صص ١٦٣-١٧٣.
- ٤- إبراهيمي حريري، فارس، *مقامه نویسی در ادبیات فارسی وتأثیر مقامات عربی در آن*، تهران، انتشارات دانشگاه تهران، ١٣٤٦ هـ ش.
- ٥- اسلامی ندوشن، محمدعلی، *آواها و ایماها*، تهران، نشر قطره، چاپ پنجم، ١٣٨٧ هـ ش.
- ٦- انوار، امیر محمود، *سعدی و منتبئی*، تهران، انتشارات انوار دانش، ١٣٨٠ هـ ش.
- ٧- —، *ایوان مدائن از دیدگاه دو شاعر نامی تازی و پارسی: بحتری و خاقانی*، تهران، انتشارات دانشگاه تهران، ١٣٨٣ هـ ش.

- ۸- بقائی (ماکان)، محمد، *اقبال وده چهره دیگر*، تهران، انتشارات حکایت دیگر، ۱۳۸۵هـ ش.
- ۹- بهنام، جمشید، *ادبیات تطبیقی*، تهران، نشر بی تا، ۱۳۳۲هـ ش/۱۹۵۳م.
- ۱۰- «تلاشی بی نظیر در عرصه ادبیات تطبیقی»، کتاب ماه ادبیات و فلسفه، شماره ۴۶، مرداد و شهریور ۱۳۸۰هـ ش، ۴-۱۷.
- ۱۱- حدیدی، جواد، *برخورد اندیشه ها*، تهران، نشر توس، ۱۳۵۶هـ ش/۱۹۹۷م.
- ۱۲- —، *از سعدی تا آراگون*، تهران، مرکز نشر دانشگاهی، ۱۳۷۳هـ ش.
- ۱۳- زرین کوب، عبدالحسین، *آشنایی با نقد ادبی*، تهران، نشر سخن، چاپ سوم، ۱۳۷۴هـ ش.
- ۱۴- —، *از کوچه زندان*، شرکت سهامی کتابهای جیبی، چاپخانه زیبا.
- ۱۵- —، *یادداشتها و اندیشه ها*، به کوشش عنایت الله مجیدی، تهران، ۱۳۵۱هـ ش.
- ۱۶- —، *نه شرقی نه غربی - انسانی*، تهران، امیرکبیر، ۱۳۵۳هـ ش.
- ۱۷- —، *دفتر ایام*، تهران، انتشارات علمی، چاپ چهارم، ۱۳۷۸هـ ش.
- ۱۸- —، *نقش بر آب*، تهران، نشر سخن، چاپ سوم، ۱۳۷۴هـ ش.
- ۱۹- *زندگی نامه و خدمات علمی و فرهنگی جواد حدیدی*، ویراستار: امید قنبری، تهران، انجمن آثار و مفاخر فرهنگی، ۱۳۸۰هـ ش.
- ۲۰- دامادی، محمد، *مضامین مشترک در ادب فارسی و عربی*، تهران، انتشارات دانشگاه تهران، ۱۳۷۱هـ ش.
- ۲۱- ساجدی، طهمورث، *از ادبیات تطبیقی تا نقد ادبی*، تهران، انتشارات امیرکبیر، ۱۳۸۷هـ ش.
- ۲۲- ستاری، جلال، *پیوند عشق میان شرق و غرب*، تهران، وزارت فرهنگ و هنر، ۱۳۵۴هـ ش.
- ۲۳- سجادی، سید جعفر، *نقد تطبیقی ادبیات ایران و عرب*، تهران، شرکت مؤلفان و مترجمان ایران، ۱۳۶۹هـ ش.

- ۲۴- سیاح، فاطمه، نقد و سیاحت (مجموعه مقالات و تقریرات)، به کوشش محمد گلین، تهران، نشر توس، ۱۳۵۴ هـ ش.
- ۲۵- شفیعی کدکنی، محمد رضا، صور خیال در شعر فارسی، تهران، نشر آگاه، چاپ ششم، ۱۳۷۵ هـ ش.
- ۲۶- شادمان، سید فخرالدین، «روابط و تأثیرات ادبی»، یغما، السنة ۶، العدد ۴، ۱۳۳۲ هـ ش، صص ۱۲۹-۱۳۵.
- ۲۷- صنعتی نیا، فاطمه، مآخذ قصص و تمثیلات مثنوی های عطار نیشابوری، تهران، انتشارات زوار، ۱۳۶۹ هـ ش.
- ۲۸- طالشی، یدالله، تجلی اوصاف امام علی (ع) در ادب فارسی، تهران، انتشارات امیرکبیر، ۱۳۸۲ هـ ش.
- ۲۹- فرشید ورد، خسرو، درباره ادبیات و نقد ادبی، تهران، انتشارات امیرکبیر، چاپ چهارم، ۱۳۸۲ هـ ش.
- ۳۰- فایشتاین، اولریش، «التأثیر و التقليد»، تر. مصطفی ماهر، فصول، العدد الثالث، المجلد الثالث، الجزء الأول، ۱۹۸۳ م، صص ۱۸-۲۵.
- ۳۱- قنبری، محمد رضا، خیام نامه، تهران، نشر زوار، ۱۳۸۴ هـ ش.
- ۳۲- الکک، فیکتور، تأثیر فرهنگ عرب در اشعار منوچهری دامغانی، بیروت، دارالمشرق، ۱۹۸۶ م.
- ۳۳- نجفی، ابوالحسن، «ادبیات تطبیقی چیست؟»، ماهنامه آموزش و پرورش، العدد ۷، المجلد ۴۱، ۱۳۵۱ هـ ش، صص ۴۳۵-۴۴۸.
- ۳۴- ندا، طه، الأدب المقارن، بیروت، دار النهضة العربية، الطبعة الثالثة، ۱۹۹۲ م.